

الأم المغامرة تنقذ طفلها حتى لو كان في السماء

«ظل في الغيم» فيلم يمزج وقائع الحرب العالمية الثانية بالخيال العلمي



في هذه الدراما تتكاثف النزعة الإنسانية العميقة

لكن التحول الدرامي هو في كيفية النجاة مع وضع كهذا وتهشم أغلب أجزاء الطائرة.

فيلم غير تقليدي

لا شك أننا على صعيد الحكمة الدرامية الرئيسية والحجبات الثانوية نكون قد وصلنا إلى قناعة أن ماود هي التي كانت تحرك كل ذلك، ومن الصعب انتزاع النصر أو في الأقل الخلاص والنجاة من دونها، إلى درجة أنها ترشد من يتقوا على قيد الحياة إلى كيفية الهبوط تحاشياً لارتطام الطائرة على الأرض وبالتالي هلاك الجميع، وهو ما يقع بالفعل ويكون سبباً في نجاة الأربعة ومعهم الطفل.

وإذا توغلنا أكثر في قيمة الفيلم الحربي في موازاة قيمة الخيال العلمي المختلط بالرعب، فإننا نجد أن هذا النوع من المعالجة السينمائية قد أخرج الفيلم من دائرة الفيلم الحربي التقليدي كما أنه لم يفرق الفيلم في ما هو فانتازي وخيالي وإنما استطاع أن يوجد توازناً موضوعياً بين الحالتين.

القيمة المرتبطة بالخيال والرعب اقتصر على حين مكاني واحد ساعة كانت ماود محتجزة في تلك المصورة لوحدها وهي تواجه مصيرها في وسط سخرية الآخرين منها، وهي خلال ذلك انتزعت لنفسها مهمة تجاوزت أفكار الآخرين ومساحة تطلعاتهم وحتى كيفية الخروج من المازق إذا ما وقعوا فيه لم يكن في حساباتهم سوى العودة من حيث جاؤوا. ومن جهة أخرى كان هناك الحس الإنساني العميق المرتبط بانقاذ الطفل، وهو هنا تكريس لموقع وأهمية الضحية سواء الأم أو ابنها في وسط دوامة حربية طاحنة قادرة على دون هواده، ولكن ماود تكون قد لقت الآخرين دروساً من خلال شخصيتها القوية وقدرتها على اتخاذ القرار ولو كان خطيراً واستثنائياً.

والحاصل أننا أمام نوع فليمي متميز باختلافه ونمطيته ومتجاوز لنوع الفيلم الحربي التقليدي واستطاع أن يجعل قيمة الحرب خلفية مناسبة لنسج قيمة الخيال العلمي.

ماود سوف تصدم بأن طفلها وهو في داخل الحقيبة قد أصبح في مهب الريح، لتثبت مرة أخرى كونها تخوض صراعاً شرساً، فهي قادرة على المغامرة، فبعد تأكدها من عدم بقاء طفلها في الطائرة وإصابة من كان يحتمي الحقيبة التي يختبئ فيها الطفل تقرر أن تتسلق جسم الطائرة من الخارج وسط درجة حرارة انجمادية لتتمكن من استعادة الحقيبة التي ينم فيها الطفل.

المعالجة السينمائية

أخرجت الفيلم من دائرة الفيلم الحربي التقليدي كما أنه لم يفرق في ما هو فانتازي وخيالي

لا شك أن هذه المشاهد الأخيرة كانت من أكثر ما في الفيلم من عناصر التشويق وقطع الأنفاس فضلاً عن دقة استخدام عناصر الصورة والمونتاج والخصع السينمائية التي من خلالها خاضت ماود مغامرة مخيفة وفريدة من نوعها من أجل إنقاذ طفلها، وهنا يمكننا رسم المسار الغرائبي والخيالي للأحداث سواء لجهة بقاء تلك الكائنات الوحشية فنك بالجميع بعدما استطاعت أن تنفذ إلى جوف الطائرة، أو لجهة المغامرة التي خاضتها ماود، وهما من دون شك محوران دراميان تم توظيفهما استثنائياً.

أما إذا انتقلنا إلى أدوار الآخرين فقد نجحت ماود في مواكبتهم وأن تصبغ ندا لهم، فقد بدأت أدوارهم تتضال بالتدريج حتى لم يبق من بينهم سوى الطيار النيوزيلندي وجنديين آخرين وهي بينهم، فكيف يمكنهم التخلص من المازق الذي هم فيه مع استمرار القصف الياباني؟ ما لم يكن يتوقعه طاقم الطائرة أن تصبح تلك الفتاة سبياً في إنقاذهم من هلاك محقق، لاسيما وأن الكثيرين قد ماتوا بسبب ما واجهوه من أهوال وإصابات مباشرة،

في بث الحجبات الثانوية لكي نخرج من دوامة الحصار المجرى إلى تحولات جذرية أساسية تتعلق بالمغامرة في حد ذاتها. وإذا نظرنا إلى الفيلم على أنه ينتمي لسينما الرعب والحرب والإنارة، كما تم تصنيفه في العديد من المواقع، إلا أنه أيضاً فيلم خيال علمي مفرط وفيلم مغامرات، ومن هنا يمكننا تفسير وجود تلك الكائنات القادرة على الطيران وفي الوقت نفسه تخريب أجزاء من الطائرة الحربية تبعاً.

على أن تلك التحولات الدرامية التي خبرناها في ظل احتجاز ماود والعجز عن إخراجها سوف تفجرها طاقة واحدة توظف الجميع فهي إذ تطلق طاقة واحدة على ذلك الكائن الوحش، فإنها في المقابل تدافع عن نفسها، وهذا يطرح كيفية دخولها إلى الطائرة من دون تصريحها بأنها مسلحة.

ومنذ تلك الرصاصة سوف تتكامل العديد من الخطوط الدرامية التي ترتبط بالشخصيات مجتمعة، والتي تصبح الشوك محيطاً بها من كل جانب فمن جهة تصارع ماود الوحش، ومن جهة أخرى تخبر الطاقم بحقيقة اقتراب الطائرات اليابانية لغرض بدء معركة جوية.

ولا شك أن هذه الأجواء الدرامية برعت المخرجة في توجيهها بشكل سلس إلى نهاياتها ولكن من دون أن نستطيع الحدس بالكيفية التي سوف تتطور فيها المواجهة بين الطرفين المتصارعين. من هنا يمكننا فهم الأسلوب الذي استخدمته المخرجة من خلال مقاربة إشكالية الحرب فهي هنا تنقلنا إلى حرب فوق الغيم، وهي حرب مياغثة يجد الطاقم نفسه في دوامتها ومن دون أن يتمكن من الخروج منها بسهولة.

الطائرات اليابانية تقرب وتبدأ فورا بعمليات القصف ومطاردة طائرة الحلفاء، عندها فقط سوف يذعن الجميع إلى ما حدثت منه ماود بانهم قادمون، ولتعضي المواجهة بشكل قاس ومتكرر ومع تساقط الضحايا تبعاً فيما تساهم ماود بدورها وبطريقة ما في الدفاع عن الطائرة بالوصول إلى مفتاح الرمي المباشر ولتخوض جانباً من المعركة الجوية.

التشويق والنجاة

تلعب المخرجة ببراعة على مشاهد حبس الأنفاس والمفاجآت المتتالية بطائرة الحلفاء سوف تتعرض إلى إصابات مباشرة تؤدي إلى توقف أحد محركاتها ومقتل عدد من الملاحقين، ولكن

البرد القادم إليها من فجوة ما، مشهدة حوارية رسخت مدخلا مناسباً لما هو أت من بث للحجبات الثانوية التي سوف تقلب الرتابة التي كنا قد تقبلناها في البداية.

قتال فوق الغيوم

أن تكون هنالك كائنات متوحشة وهجينة وتشديد الشراسة وهي تحلق في أعالي السماء، تلك هي الفرضية الأقرب إلى الخيال الذي سوف يتم التحليل فيه، وتتحوّل تلك الكائنات المتوحشة إلى عدو جوي شرس، ومهما حاولت ماود إقناع طاقم الطائرة عبر الهاتف الداخلي بحقيقة الكارثة إلا أنها لا تلقى أي استجابة ولا اهتماماً، بل إن هنالك من يتهمها بالكذب والتلفيق.

عند نقطة التحول هذه سوف يزداد الضغط على ماود بوصفها سبباً في الشر الذي تمثل بوجود كائن وحشي بالتزامن مع تكهنات أفراد الطاقم، ماود تكون قد زورت في الأوراق وهي ليست في مهمة رسمية، بل في مهمة لإنقاذ طفلها الذي خبأته في الحقيبة بعد مغامرة توزعت بين الحب والإحباط والعجز وعدم الوفاء، وبين زوج سابق وحبيب لا تريد أن تخبره بحملها، ولهذا تقرر الفرار تحت جنح الحرب من بلاد إلى بلاد.

وتتكاثف في هذه الدراما تلك النزعة الإنسانية العميقة التي تدفع ماود إلى مغامرات مميتة فهي تنظر إلى الأمر على أنه لا يعتد بإنقاذ ذلك الكائن، ولهذا تنتج المخرجة

السوقية التي يلقيها الجميع ضد ماود، لكن ما يهمها هو الحقيبة التي طالما سالت عنها، وقد كانت في حماية العريف والتر كواد (الممثل تيلور سميث) وإلى حد هذه البداية لا نزال نجهل ما تحتوي تلك الحقيبة المهمة.

واقعا هنالك مساحة من الحوار تتسع وتتحوّل تارة إلى جدال شرس وتارة تجنح إلى الهدوء في أجواء تقرب من الحوارات الإذاعية والمسرحية التي قمرتها، وقد فشلت في فتح الأقفال التي تحطمت بيديها، ولهذا ليس أمامها سوى البقاء أسيرة تلك الحجرة المغلقة.

يجع الفيلم بالحوارات بين الجنود ويتكسف عن فريق تسيطر عليه الالامبالاة ويتعامل بخفة دم وميل إلى النكات والسخرية بشكل ملفت للنظر، بينما هنالك ماود التي عليها إثبات نفسها بعد كم من الشكوك التي بدأت تنساب الطاقم تجاهها.

هذه المعالجة السينمائية للأحداث بدت وكأنها تنبئ بالقصة السينمائية عن مواجهات الحرب، وعلينا أن نكتفي بذلك الحوارات التي هي أقرب إلى السجلات بين الطرفين.

على أن براعة ماود سوف تدفعها إلى التأكيد لفريق الطائرة أن هنالك شبح طائرات ربما تكون يابانية في وسط الغيم تقوم بالرصد الجوي وتحذر من احتمالات ضربة قادمة، لكن تحذيراتنا تذهب أدراج الرياح ووسط السخرية.

لنمضي في تلك الرحلة التي لا تنقطع فيها حوارات الجنود وثرثرتهم بينما تقع ماود في قمرتها وهي تقاوم

تحمل أجواء الحرب الكثير من الخيالات بسبب اتساعها إلى ما لا يحصى من الاحتمالات حول المصير والمستقبل وما يختبئه القدر وما يختبئه العدو، فضلاً عن اكتنان قصص المحاربين بتفاصيل وإشراقات إضافية، لكن سينما الحرب ليست هي قصة متحاربين فحسب بل إن هنالك نوعاً من الأفلام التي تتسم بإدخال عنصر الخيال والخيال العلمي بقوة كما في فيلم «ظل في الغيم» للمخرجة روزيان لينج.

طاهر علوان
كاتب عراقي



لقد اعتدنا على مشاهدة البطولات الفردية في الحروب التي تنحاز غالباً إلى طرف ضد الطرف الآخر، ومن ذلك وقائع الحرب العالمية الثانية، التي شاهدنا حولها العشرات من الأفلام التي عالجت جوانب متعددة بقي خلالها قلباً الصراع: النازيون في مقابل الحلفاء هما موضوع وثيقة تلك الأفلام، مع هوامش لقضايا إنسانية ووقائع مخفية.

ومهما اتعد المخرجون وكتّاب السيناريو عن جوهر قضية الصراع فإن الجانب الوثائقي بقي مؤثراً بسبب طبيعة الحرب في حد ذاتها وارتباطها بزمان ومكان وشخصيات كلهم كانوا موجودين في الواقع.

لكننا في الأونة الأخيرة صرنا نشاهد تجارب سينمائية ملفتة للنظر تجري على خلفية الحرب العالمية الثانية، ولكنها تدخل في إطار الفانتازيا والخيال العلمي، بل والإسراف في الخيال، بما يجعل الجمهور الذي تتبّع بقصص أفلام الحرب العالمية الثانية منجذباً لنوع جديد من الأفلام، ومن ذلك هذه الأفلام الثلاثة الحديثة وهي فيلم «اشباح الحرب» للمخرج إيريك بريس، وفيلم «القاعدة الأمامية» للمخرج رود لوري، وفيلم «ظل في الغيم» للمخرجة الصينية - النيوزيلاندية روزيان لينج الذي يضيف لأفلام الحرب العالمية الثانية معالجة قائمة على الاختلاف عما هو سائد.

مشهدة حوارية

في المشاهد الأولى وفي قاعدة عسكرية للطائرات ووسط الضباب والمطر سوف تظهر الضابط ماود غاريت (الممثلة كلوي مورتن) وهي تدخل مباشرة في أول طائرة عسكرية حاملة معها ترخيصاً بكونها في مهمة رسمية بالغة السرية ضمن طياران الحلفاء، وأنها تحمل حقيبة فيها شيء سري يجب نقله إلى الضفة الأخرى من الأطلسي.

تجد ماود نفسها في وسط جوقة من الضباط والجنود الذين سرعان ما يسخرون منها ومن مجرد فكرة وجود امرأة تحمل رتبة عسكرية أو محاربة، ولهذا يتم حشرها في قمرة مغلقة، لكنها خلال ذلك تسمع بواسطة البث الداخلي حوارات طاقم الطائرة عنها.

بالطبع سوف يلفت النظر أننا سوف نستغرق مساحة وساعة من الفيلم في حوارات تعج بالتحرشات والكلمات



حرب تقع فوق الغيوم